



## تفسير الأحلام بين المتاجرة بالدين واللعب بالعقول

تعيش قطاعات واسعة من مجتمعاتنا الإسلامية أسيرة لظواهر غريبة تأتي الاندثار رغم تقدم العقل البشري وتطور العلوم التجريبية والاكتشافات الحديثة في الوصول بعقول أمم شتى إلى التفكير في ما وراء الخيال والخرافة، بينما تراجع عقول شرائح واسعة من الأمة إلى الوراثة وكأن سلسلة قوية تشدها للخلف للتفكير في أمور حسمها علم النفس حديثاً، وحسمها الإسلام قديماً، ورغم كل هذا التناقض الحاصل بين عقليات المجتمعات الإسلامية وعقول العالم المتقدم، إلا إنه يجب علينا الاعتراف بأن ظاهرة “الخرافة” موجودة لدى كل الشعوب وفي كل الأديان، لكن الارتهاان لها يتفاوت من مجتمع إلى آخر. فمع انتشار وسائل الاتصال وتنوعها وسرعة نقل المعلومة، والتخليق بالعقل البشري إلى فضاءات أرحب وأكثر واقعية، يزداد هوس الإنسان المسلم بالخرافة والتمسك بأمور جانبية وجعلها الشغل الشاغل لحياة الكثيرين، وإذا كانت التجارة الدولية قد اتخذت مسارات حديثة وشهدت تطوراً هائلاً بفضل وسائل الإعلام، فإن تفسير الأحلام خرج من إطاره النفسي واستشراف المستقبل، إلى المحاولة المحمومة لمعرفة علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، أو من أطلعه من عباده على جزء يسير منه وهيهات.

فتفسير الأحلام أصبح في العصر الحديث تجارة رائجة تدر على أصحابها أموالاً طائلة بفضل جهل ضعاف النفوس من المسلمين بحقيقة دينهم أولاً، وحقيقة الأحلام ثانياً، فتفسير الأحلام ينبغي أن نخضعه إلى ديني ونفسي، فعلى المستوى الديني نجد أن الرسول ﷺ نبه أمته إلى أن المرائي والأحلام ليست حقائق أو مسلمات ولا تنبئ عليها الأحكام إطلاقاً، حتى لو كانت رؤيا صادقة، وقد أخبر أن الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان، والمتأمل في حديثه ﷺ سيكتشف من خلاله هذا المفهوم، فقد قال (الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة) – ولو انتبهنا إلى كلمة “الصادقة” لاكتشفنا أن أكثر المرائي هي أحلام غير صادقة لا ينبغي التفكير فيها كثيراً ما دامت من الشيطان، لكن ما يشغل بال ضعاف النفوس أكثر هي الأحلام أو الكوابيس المزعجة، فهذا النوع هو ما يجعل صاحبه يعيش في قلق دائم ما لم يلجأ إلى أحد مشائخ الفضائيات ليسأله عن تفسير ما رآه، ظناً منه أن ما يقوله هذا الشيخ الفضائي وحياً منزلاً، وقليل من مفسري الأحلام اليوم يخالف نهج السلف الصالح الذين كانوا يتعدون بالناس عن الاهتمام بهذه التفاهات حفاظاً على عقيدة المسلمين من الانحراف والارتهاان لقول البشر، فالإمام محمد بن سيرين رحمه الله كان إذا سئل عن تفسير حلم مزعج يقول لصاحبه “اتق الله في اليقظة ولا يضرك ما رأيته في المنام.



أما الشق النفسي للأحلام، مزعجة كانت أو غير ذلك، فيعود إلى أن الكثير من هذه الأحلام هي نتاج الحالة النفسية لصاحبها قبل خلوده للنوم، فكلما أكثر الإنسان التفكير في أمر ما سيجد نفسه يعيش وقائعه عند نومه، لكن مشكلتنا أن البعض يحاول ربط ما يعيشه في نومه بالواقع المعاش، وبالمستقبل الذي يتحدد جزء منه بتخطيط الإنسان، بينما يعتبر الجزء الثاني غيبا لا يعلمه إلا علام الغيوب.

ولأننا أمة استمرأت الانشغال بسفاسف الأمور، فقد انتهرز المشعوذون هذا الوضع وأنشئوا فضائيات -لا تختلف عن القنوات من حيث القدرة على الاستمرار ووجود طاقم يتناوب على تسييرها- مهمتها الأولى تتمثل في زيادة تدجين عقول ضعاف النفوس من الأمة والترجح على حسابهم، والأخطر في الأمر أن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم ” مشايخ تفسير الأحلام ” يتدثرون بعباءة الدين والعلم، ويوهمون الناس أن هذا جزء من العقيدة يجب الإيمان به، كل ذلك محاولة منهم لربط العقول بهم أكثر ليظل المال متدفقا نحو هذه القنوات والمواقع، ولتظل طاقات عقول الأمة معطلة في البحث عن الأوهام. فلتنق الله في اليقظة ولن يضرنا ما نراه في المنام.